مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٢/١٠/٨

٦ سنوات على نصر أكتوبر

صـــــناع النصـــــر

كيف تم اعدادهم لمواجهـة أصـعب الاختيـارات ؟

يقترن النصر فى ميـــادين القتال بنجـــاح القيـــادة فى تصحيح معادلات كثيرة خـــلال الفترات التى تسبق خـــوض صراع الدم والنار .

وتشمل هذه المعادلات اعداد المسرحين السياسى والعسكرى كما تشمل البشر والمعدات ، وايضا العلم العسكرى خبرات الحروب السابقة .

ويمثل البشر اهـــم هـــذه المعادلات .. فبهم تـــدور آلة الحرب .. وبدونهم لا يتحقق انتصار .

ولاشك أن الانسان المقاتل ، يواجه اختيارا من أصعب الاختيارات ، فمن بين كل الناس هو الذى يواجه الاختيار بين الحياة والموت .. فعندما يلقى الامر بالهجوم ، فان ذلك معنى التقدم لمواجهة الموت .. ويتجسد تاريخه كله وحياته كلها فى نقطة ضوء مكثفة ومبهرة .. لحظة فيها كل الاشواق .. الشوق للحياة بكل مانمثله .. والشوق للاستشهاد ليحيا الوطن ..

والخروج من هذه اللحظة التى تضم عمرا وأملا يرتبط ارتباطا وثيقا وجذريا بالقيم السائدة فى المجتمع والمثل الاعلى للفرد والروح المعنوية التى يتمتع بها .. وبقدر ماترتفع الروح المعنوية ، وتسود القيم النبيلة ويتطلع المثل الاعلى بقدر مايكون الاستعداد للبذل .. وبقدر ماتنهار يكون التخاذل والنكوص .

وخلال الفترة السابقة على يونيـــة ١٩٦٧ صاغت القيادة المصرية معادلة رفع الروح المعنوية للمقاتلين اعتمـــادا على شعارات .. الحفاظ على المكاسب الاشتراكية .. والدفاع عن النظـــام السياسى المصرى من الاخطار الخارجية .. وتجاهلت القيـــادة أو اغفلت القيم الروحيـــة ، والمشـــاعر الوطنية فى معادلتها .

ونسيت هذه القيادات أن الاتحاد السوفيتى عندما واجه الغزو النازى صاغ معـــادلته على أساس استنفار الروح الوطنية للدفاع عن الوطن .. ألم يصرخ قادته مطـــالبين بالدفاع عن ثورة العمال والفلاحين .. أو الذود عن موسكو عاصمة الثورة فى العالم

ودفعت شعوب الاتحـــاد السوفيتى ٢٢ مليونا من القتلى ثمنا لدحر المعتدين وحتى الان فان الاتحاد الســـوفيتى يطلق على هـــذه الحرب « الحـــرب الوطنيـــة العظمى » .. لا الحـــرب العالمية الثانية ..

وعندما واجهت القيادة الموقف بعد الهزيمة وادركت بعض أوجه النقص فى المعادلة .. طالبت بالتركيز على الجانب الدينى ..

وفى ميدان التدريب ، قبل يونيه ١٩٦٧ ـــ سادت التواكلية والمظهرية ، وكانت المناورات تمثيلية أو تهريجية ،

بمعنى أدق .. فكل شيء كان يعد مسبقا لنيل اعجاب القيادات التى توقفت معلوماتها العسكرية عند رتبة الرائد [الصاغ] أو المقدم [البكباشى] .

كانت عبوات المتفجرات توضع داخل أو تحت الاهداف ، وعندما تبدأ المناورة يتم تفجير هذه الاهداف .. فيبدو أمام المشاهدين أن الدبابات والمدفعية والطائرات قد أصابت أهدافها .. ويعود القادة وهم سعداء بهذه النتيجة .. **وتصدر نشرة ترقيات ومكافآت لمن اعدوا هذه المسرحية ..**

وبعد يونية ١٩٦٧ ، سادت الجدية ولكن دون وجود خطة هجومية .. كان التدريب فى اطار الدفاع فقط .. وتغيرت نوعية الجندى لاستيعاب الجديد والحديث من السلاح ..

وظلت باقى مظاهر الخلل كما هى .. معادلة الروح المعنوية تنقصها ..

الوطن .. واحساس المواطن بالمواطنة .. والاهم احساس المقاتل بالامن لغياب الشرعية وانعدام سيادة القانون ..

وفى ميدان التدريب ، كان ينقص الاقتناع بجدية القيادة فى التوجه للقتال لاسترداد الارض المحتلة ..

ولم تتوقف الاجهزة عن العمل فى اطار الفكر السائد آنذاك .. ورحل قائد ، وتولى السلطة الرئيس السادات ..

ولم يحدث التغيير الذى ينشده الرجال فى القوات المسلحة .. فمقدرات الامور ظلت فى يد وزير الحربية الضالع تماما مع مجموعة الورثة التى سميت فيما بعد « مراكز القوى » ..

وعندما تخلصت منهم مصر فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، بدا واضحا أن الامور تسير فى اتجاه آخر ..

وزار الرئيس السادات الجبهة خلال أول يونية ١٩٧١ بعد ثورة التصحيح مباشرة وعرض على الرجال فى الجيشين الثانى والثالث الموقف بأمانة ..

أوضح لهم حقيقة ما يفكر فيه .. وأحاطوه هناك بالحب مثلما أحاطته مصر كلها عقب التخلص من مجموعة الورثة ..

وبدأت الخطوات لتصحيح الاختلال سواء فى معادلة الروح المعنوية أو التدريب ..

أعلن الرئيس السادات سيادة الشرعية ، وأنهى عصر الخوف بالاستجابة لمطالب الجماهير بالحرية .. وتحقق للمقاتلين الاحساس بالامان وتجربة ، اثر أخرى بدأت رواسب الشك فى أعماق كل مقاتل تتراوح ليحل محلها ثقة فى العصر الجديد .. وبكل الرياح التى عبأ بها أشرعته وعاد الى مصر بعد ذلك اسمها وشحب الاسم السابق

لقد ذكر القرآن مصر فى سبعة مواضع ، وبذلك اجتمع لاسم مصر مالم يجتمع لاسم دولة أخرى امتزج اسمها بالدين ..

ومصر منذ أكثر من سبعة آلاف عام ، والدين هو أعمق مافى المواطن ، وهو الوتر الذى تصدر عنه موسيقى ذات نشوة سماوية .. وباسم مصر ارتبط المواطنون .. وتحت راياتها قاتلوا واستشهدوا وصنعوا أمجادها وتاريخها ...

وكان حب مصر حبا عميقا صوفيا هو سر ذوبان كل الغزاة وتراجعهم .. وكانت عودة اسم مصر توفيقا .. وأى توفيق .

أصبحت بذلك معادلة الروح المعنوية تعبيرا عن المثل الاعلى للمواطن المصرى المقاتل وغير المقاتل ..

وفى ميدان التدريب .. سارت الامور سيرا جديدا ، بدأ السادات يعلن بوضوح أن المعركة آتية ..

وبدأت القيادات تضع خططا هجومية بدلا من الركون الى الدفاع .. وفى اطار هذه الخطط أعدت مشروعات التدريب لاعداد المقاتل قائدا أو جنديا لتنفيذها ..

وتواصلت ساعات التدريب .. وأدرك المقاتلون أن سنوات عمرهم لا تمضى هباء .. أدركوا أنهم على الطريق لرى ظمئهم للثأر من عدوهم .. وكان هذا اضافة جديدة لمعادلة الروح المعنوية ..

فطوال الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧١ .. والقوات المسلحة تستقبل دفعات جديدة من خريجى الجامعات .. دون تسريح أية دفعات ..

ويوما بعد يوم .. وأسبوعا بعد أسبوع .. وشهرا بعد شهر .. وعاما بعد عام .. كانت أغلبية المقاتلين تتساءل لماذا يمضون أيامهم هنا اذا لم يكن الهدف القتال ؟! ..

وتزداد حسرتهم على مستقبل وطنهم ومستقبلهم هم أيضا الذى لا يعرفون له طريقا ..

ومع الاحساس بجدية الاستعداد للمعركة تبخرت هذه المشاعر السلبية وسادت روح أخرى مختلفة تماما ..

وكان هذا التغيير واضحا لكل المراقبين .. لا القيادات والمهتمين فقط .. فقد تراجعت تيارات العنف التى سادت العلاقة بين الضباط والجنود ، والتى دفعت بعض الجنود الى اطلاق النار على ضباطهم .. وتقلصت ظاهرة غياب الجنود من وحداتهم ..

وكان ذلك من أهم المؤشرات على نوعية المقاتل الجديد على خط وقف اطلاق النار ..

وكان هناك مؤشر آخر .. فعندما يتطلب الموقف أفرادا لعبور القناة لاداء مهمة خاصة سواء للاستطلاع أو للتخريب .. أو لاحضار معدة أو سلاح من أسلحة العدو ، كان الجميع تقريبا يتطوعون لاداء هذه المهام ..

وكان المؤشر الاهم .. اندفاع كل هؤلاء الرجال ظهر السادس من أكتوبر لاقتحام القناة واكتساح خط بارليف .. وتحقيق انتصار من أهم انتصارات القوات المصرية المسلحة عبر تاريخها الحديث ...

تحقيق : عبده مباشر